

الشيخ فتح الله السلواوي في رواق الشام ... ذكريات طالب أزهري (١٩٣٧-١٩٤٦) عوني فارس*

الأزهر في تشكيل هذه النخبة.^٤ وتعتمد الدراسة في مادتها الأساسية على ما ورد في مخطوطة سطرها الشيخ فتح الله السلواوي قبل رحيله بسنوات قليلة، بعنوان (رجال لقيتهم).^٥ والمخطوطة على درجة عالية من الأهمية؛ لرصدها أوضاع الطلبة الأزهريين من الفلسطينيين والشاميين، وطبيعة الحياة الثقافية والتعليمية التي عايشوها في مصر في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي، كما أنها تسجل أحداثاً ووقائع تاريخية حدثت في مصر في المرحلة نفسها، وجزت فصولها في أحضان الفكر والأدب ومراكز الثقافة المصرية كالجامعات، لا سيما الأزهر، وتضيف جديداً في سير أعلام ومشاهير مصريين وشاميين، حفظت ذاكرة الشيخ فتح الله السلواوي بعضاً من يومياتهم مما ارتبط بتجربته الشخصية.

تتناول هذه الدراسة جانباً من السيرة الذاتية للشيخ فتح الله السلواوي (١٩٢٣-٢٠٠٠)، وتتركز بالأساس حول حياته بمصر في إبان دراسته الجامعية في جامعة الأزهر في القاهرة في الأعوام ما بين (١٩٣٧-١٩٤٦)،^٦ وتسعى عن طريق رصد ما سطرته ذاكرته حول تلك المدة لتسليط الضوء على الواقع الثقافي والفكري، الذي نمت في ظله النخبة الفكرية الفلسطينية ذات المرجعية الإسلامية في النصف الأول من القرن العشرين،^٧ ودور

ذلك عائد إلى عدة أسباب: منها: صعود دور ومكانة النخب الثقافية العلمانية في الحيز العام منذ أواخر العهد العثماني. وتوفر مجموعة من المصادر الأولية عنها من وثائق شخصية ومذكرات وسير ذاتية. ويمكن الإشارة هنا إلى الدراسات الاجتماعية التي أعدها سليم تمري عن بعض أفراد هذه النخبة. مثل: واصف جوهري وعارف العارف وإسحاق الشامي وعمر الصالح البرغوثي وتوفيق كنعان ونجاتي صدقي وغيرهم. أمّا بالنسبة إلى النخبة الدينية الإسلامية فلا تكاد توجد دراسات جادة حولها. باستثناء بعض كتب السير والتراجم مثل كتاب عادل مناع أعلام فلسطين أواخر العهد العثماني ١٨٠٠-١٩١٨م. حيث ترجم فيها لأكثر من ١١٦ علماً فلسطينياً. منهم ٤٥ من خريجي الأزهر. وكتاب جميل حمامي ومحمد عابدين أعيان الشريعة في فلسطين في النصف الثاني من القرن العشرين. إضافة إلى القليل مما كتبه بعض الأزهريين عن حياتهم. مثل كتاب الشيخ عبد الحميد السائح فلسطين لا صلاة تحت الحراب مذكرات عبد الحميد السائح. وبعض الرسائل العلمية. مثل رسالة دكتوراه بعنوان الشيخ علي بن محمود الريماوي حياته: تحقيق شعره ونثره. إعداد حفيده الدكتور عبد الرحمن الريماوي.

٤ كان لعدد كبير من الفلسطينيين ممن درسوا في الأزهر في النصف الأول من القرن العشرين دور بارز في الحياة السياسية والفكرية في فلسطين قبل النكبة وبعدها. نذكر منهم على سبيل المثال الحاج أمين الحسيني. الشيخ نقي الدين النبهاني. الشيخ مشهور الضامن. الشيخ محمد نمر الخطيب. الشيخ عبد القديم زلوم. الشيخ عبد الحميد السائح وغيرهم.

٥ تتناول المخطوطة ذكريات الشيخ فتح الله السلواوي عن سبع وأربعين شخصياً من علماء وأدباء وشعراء وساسة من مصر وبلاد الشام. جمعته بهم مقاعد الدراسة وهموم الثقافة والأدب. وخالطهم بحكم وظيفته واهتماماته المتعددة. وقامت بينه وبينهم علاقات مودة وصداقة. وقد نُشرت بعض حلقاتها في جريدتي الفجر والقدس الفلسطينيتين في النصف الأول من تسعينيات القرن الماضي. وتحوي المخطوطة على معلومات قيمة عن حياة الطلبة الفلسطينيين والشاميين بمصر في ثلاثينيات وأربعينيات القرن العشرين. وتنطرق إلى واقع التعليم والحراك الثقافي والفكري في فلسطين من الأربعينيات حتى ثمانينيات القرن ذاته.

١ بُني الجامع الأزهر سنة ٩٧١. في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي. وأقيمت أول حلقة للدرس فيه سنة ٩٧٥. تحول إلى معهد علمي سنة ٩٨٨. عندما خصص الخليفة العزيز بالله الفاطمي أرفاقاً لخمسة وثلاثين فقيهاً كانوا يترددون على الجامع. وبنى لهم داراً بجانب الجامع. وقد زادت أهمية الأزهر كمنارة للعلم الشرعي مع توالي الأزمان. واستضافت أروقته آلاف الطلبة. كما أضيفت له العديد من المناصب والهيئات. كمنصب مشيخة الأزهر سنة ١١٩٠. وهيئة كبار العلماء سنة ١٩١١. التي أصبح اسمها لاحقاً جماعة كبار العلماء. وقد تحول الأزهر إلى جامعة في سنة ١٩٣٠. عندما افتتحت فيه كليات ثلاثة. هي: الشريعة وأصول الدين واللغة العربية. أمّا الآن فيحوي على ١٢ كلية. تضم ٤٠٠ ألف طالب وطالبة. وفيه ١١ ألف عضو تدريس. إضافة إلى ١٣ ألف موظف وموظفة. وللمزيد من المعلومات عن تاريخ الأزهر راجع: ماهر سعاد. الأزهر أثر وثقافة. القاهرة. وزارة الأوقاف. ١٩٦٢. وعن واقع جامعة الأزهر في الوقت الحالي راجع: الموقع الإلكتروني للجامعة:

www://ptth/ge.ude.rahza.

٢ أود أن أشكر السيدة هالة فتح الله والسيد عمر فتح الله. لأنهما منحاني الفرصة للاطلاع على بعض مخطوطات والدهما. الأمر الذي مكّني من إعداد هذه الدراسة. ولأنهما وعداني بالتعاون في نشر هذا التراث.

٣ تعتبر الدراسات والأبحاث الاجتماعية والتاريخية الخاصة بدراسة النخبة الثقافية الإسلامية من علماء ومشايخ فلسطين في نهاية القرن التاسع عشر وفي النصف الأول من القرن العشرين قليلة جداً مقارنة بالدراسات والأبحاث التي تناولت النخبة الثقافية العلمانية في المرحلة نفسها. ولعل

* باحث وكاتب من سلواد.

الشيخ فتح الله السلوادي ... سيرة حياة

مائلة بين ناظره،^{١٢} إذ درس فيها مدة أربعة أعوام في مدرستي السباعي والإرشاد الإسلامي، وكان يداوم على سماع خطب الشيخ عز الدين القسام، ودرّوس الشيخ صالح الحوراني،^{١٤} ثم انتقل إلى الدراسة في المدرسة الأميرية في سلواد،^{١٥} حيث أنهى فيها الصف الرابع، وقد عرف عنه نبوغه في التحصيل الدراسي وولعه بالمطالعة وحفظ الشعر.^{١٦}

التحق بالأزهر في شهر نيسان من سنة ١٩٣٧، بصحبة طالبين هما الشيخ جمعة السلوادي والشيخ جبر العين يبرودي، وقد بقي في الأزهر تسعة أعوام، نال في السنة الأولى شهادة الأهلية، وفي السنة الثانية نال شهادة العالمية، وبعد أربعة أعوام نال شهادة العالية من كلية اللغة العربية، ثم نال شهادة أخرى من قسم التربية.^{١٧}

عاد الشيخ فتح الله السلوادي إلى فلسطين في سنة ١٩٤٥، والتحق بسلك التدريس في المدارس الثانوية، فدرّس في مدارس الرملة الثانوية في مدينة الرملة، وفي المدرستين، الرشيدية والعمرية في القدس، وفي مدرسة رام الله الثانوية في مدينة رام الله، ومدرسة سلواد الثانوية في بلدة سلواد، إلى أن تقاعد سنة ١٩٨٢،^{١٨} وعمل الشيخ أيضاً مقدماً للبرامج في إذاعة عمان منذ أواخر خمسينيات القرن الماضي، وخطيباً في مساجد محافظة رام الله والبيرة منذ سنة ١٩٦٧، ثم خطيباً في المسجد الأقصى منذ سنة ١٩٨٨،^{١٩} كما شغل منصب الإفتاء في محافظة رام الله والبيرة منذ سنة ١٩٩٥ حتى وفاته في ٢٠٠٠/٦/٤.

١٣ يقول عنها في مقابلته مع إبراهيم حامد: «صورة بحر حيفا لا تزال منطبعة في خيالي، فأواجه الهدأة وشاطئه المزدهم ولا سيما أيام الأعياد. كل ذلك لم يبارح خيالي حتى الآن. اجتماعات أهل سلواد في حيفا في مشاكلهم العامة أو مباحثهم العامة لا تزال أيضاً منطبعة في ذهني. والبحر الضخم يحيط بجبل الكرمل والسفن يظهر ضوءها في الليل. والناس في بهجة على فقرهم وقلة ما معهم».

١٤ حامد، مصدر سابق.
١٥ المصدر السابق.
١٦ مشعل، عمر موسى. «أهل العلم في سلواد عبر قرنين». مجلة صوت سلواد. (حزيران ١٩٩٣)، ص ٣٠.
١٧ حامد، مصدر سابق.
١٨ المصدر السابق.

١٩ المصدر السابق. بدأت علاقة الشيخ فتح الله السلوادي بمدينة القدس قبل النكبة. إذ سكنها وعمل مدرساً في مدارسها. وتزوج من إحدى بناتها. ثم توطدت العلاقة مع القدس أكثر بعد أن أصبح خطيباً للمسجد الأقصى. وكان له إسهاماته في الحياة الدينية والثقافية فيها. وهذا برأيي ما دفع الباحث بشير بركات لتصنيفه كأحد شخصيات القدس في القرن العشرين.

٢٠ روى لي الشيخ عكرمة صبري في مقابلة معه تمت بتاريخ ٢٠١١/١٠/٢٢. أنه قام بتعيين مجموعة من الأزهرين في منصب

ولد فتح الله حسن محمد السلوادي في مدينة حيفا عام ١٩٢٣،^٦ على إحدى تلال جبل الكرمل،^٧ والده حسن محمد عواد، فلاح فلسطيني من قرية سلواد،^٨ عرف بركة مشاعره وسرعة تأثره، وقد كان مغرمًا بالربابة واليرغول، تنهال الدموع من عينيه عندما يبدأ بالنفخ فيهما،^٩ وأمه عائشة خالد عوض من قرية سلواد أيضاً، وقد عُرف عنها ارتجالها الزجل الشعبي وتغنيتها به في الأعراس.^{١٠} وتعود تسمية الشيخ فتح الله بهذا الاسم تيمناً بفتح الله استيتية صديق العائلة في حيفا.^{١١}

انتقل والداه إلى العيش في حيفا في النصف الأول من القرن العشرين، حيث عمل والده بائعاً متجولاً، ثم اشتغل في نقل الماء إلى الأحياء الحيفاوية، وعمل أيضاً عاملاً في البلدية.^{١٢} وقد تركت الحياة في حيفا أثراً كبيراً في نفس الطفل فتح الله، وظلت ذكريات طفولته فيها

٦ مقابلة مسجلة بالفيديو مع الشيخ فتح الله السلوادي في ١٩٩٢/٧/١١. أجراها الباحث إبراهيم حامد.

٧ تطابقت بعض المصادر مع ما جاء في المقابلة التي أجراها إبراهيم حامد مع الشيخ فتح الله السلوادي مثل: بركات. بشير عبد الغني. شخصيات القدس في القرن العشرين. القدس. مؤسسة دار الطفل العربي. ٢٠١٠. ص. ٥٥. في حين اعتبرت بعض المصادر أن ولادته كانت في سلواد مثل: شاهين. أحمد. عمر موسوعة كتاب فلسطين في القرن العشرين. غزة. منشورات المركز القومي للدراسات والتوثيق. ط٢. ٢٠٠٠. ص ٥٥٨. وأرى أن السبب عائد إلى أن الشيخ فتح الله فضل كما صرح بنفسه في المقابلة المذكورة أعلاه. أن يسجل في أوراقه الرسمية أنه من مواليد سلواد.

٨ تقع بلدة سلواد إلى الشمال الشرقي من رام الله وتبعد عنها ١٣ كم. وهي إلى الغرب من تل العاصور. ترتفع قرابة ٩٠٠ متر عن سطح البحر. وهي ملاصقة لقرى المزرعة الشرقية وبيروود ودير جريرو وعين بيروود. وينحدر سكانها من قبيلة بني مرة التي نزحت من شرق الأردن. وفيها ثلاث عائلات كبيرة هي حامد وحمّاد وعمّاد. وفيها بلدية منذ سنة ١٩٦٤. واشتهرت بزراعة التين والعنب والزيتون. بلغ عدد سكانها سنة ١٩٣١ قرابة ١٦٣٥ نسمة (الموسوعة الفلسطينية). في حين بلغ عدد سكانها سنة ١٩٩٦ قرابة ٦٠٠٠ نسمة (مركز الإحصاء الفلسطيني). ويوجد فيها ٣ مدارس للبنات ومدرستان للذكور وعدد من المؤسسات الأهلية.

٩ مقابلة مع هالة فتح الله حامد (ابنة الشيخ فتح الله السلوادي). بتاريخ ٢٠١١/١٠/١٠.

١٠ المصدر السابق.

١١ مقابلة مع لبنى فتح الله حامد (ابنة الشيخ فتح الله السلوادي). بتاريخ ٢٠١١/١٠/٢٣.

١٢ مقابلة مع عائشة عمر يوسف قراعين (زوجة الشيخ فتح الله السلوادي). ٢٠١١/٩/٣.

في نظم الشعر، ونشر قصائده في الصحف الفلسطينية كالجهد والدفاع وفلسطين والفجر والقدس، وقد صدر له ديوانان مطبوعان، هما ديوان الخواطر الصادر سنة ١٩٩٠، وديوان خواطر في ظلال المسجد الأقصى الصادر في العام ١٩٩٩.^{٢٢}

والشيخ فتح الله السلوادي كاتب ماثرب، اعتاد نشر مقالاته بانتظام في الصحف الفلسطينية طوال أكثر من نصف قرن من الزمان، عالج فيها مختلف القضايا الدينية والسياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية، إضافة إلى عضويته في هيئة التحرير في المجلات الدينية الفلسطينية، مثل هدى الإسلام والإسراء، وقد ربطته علاقة ودّ وصداقة مع كبار الشعراء والأدباء والكتّاب الفلسطينيين، وله العديد من المؤلفات المخطوطة تجاوزت ٥١ مخطوطة، وهي في مختلف أنواع الكتابة الإبداعية كالشعر والقصة والمسرحية والخواطر والمقالة.^{٢٣} ولابد من الإشارة أخيراً إلى أن الشيخ فتح الله السلوادي كان قد حفظ في حياته القرآن الكريم، وعدة دواوين من الشعر، كديوان المتنبي وأبي فراس الحمداني وأبي القاسم الشّابي، وكان مولعاً باقتناء الكتب، فكان في مكتبته الخاصة ما يزيد على ٩٥٢٥ كتاباً ما بين مجلد وغيره، وما يزيد على ١٠٠٠ مجلة ثقافية.^{٢٤}



جواز سفر.

الشيخ فتح الله السلوادي في طريقه إلى الأزهر

كان الأزهر حتى بدايات القرن العشرين ملاذ طلبية العلم من الفلسطينيين، واستناداً إلى دراسة مسحية شملت ٢٤٠ عالماً من علماء فلسطين في المدة ما بين القرن العاشر الهجري حتى القرن الرابع عشر، فقد اعتبره المؤرخ كامل العسلي المركز الأول للتعليم العالي في فلسطين، حيث أشارت الدراسة إلى أن ٩٦ عالماً من هؤلاء تلقوا العلم في الأزهر، بينما تلقاه ٤٢ في إسطنبول، و٢٤ في دمشق.^{٢٥}

يُقدّم الشيخ فتح الله السلوادي في الساحة الأدبية والثقافية الفلسطينية على أنه شاعر الوطنية والحكمة والمناسبات لا سيما الدينية منها،^{٢٦} إذ بدأ بنحت الشعر وهو في الرابعة عشرة، وقد أهّلته موهبته الشعرية، وعلاقته بالعديد من الشعراء والأدباء والصحفيين المصريين، لنشر أولى قصائده في المجلات المصرية كالأُنصار القاهرية ومنبر الشرق والأهرام وغيرها. ثمّ طوّر قدراته الشعرية بعد عودته إلى فلسطين، فاستمر

٢٢ صدوق. راضي. شعراء فلسطين في القرن العشرين. بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ٢٠٠٠، ص ٤٦٣.

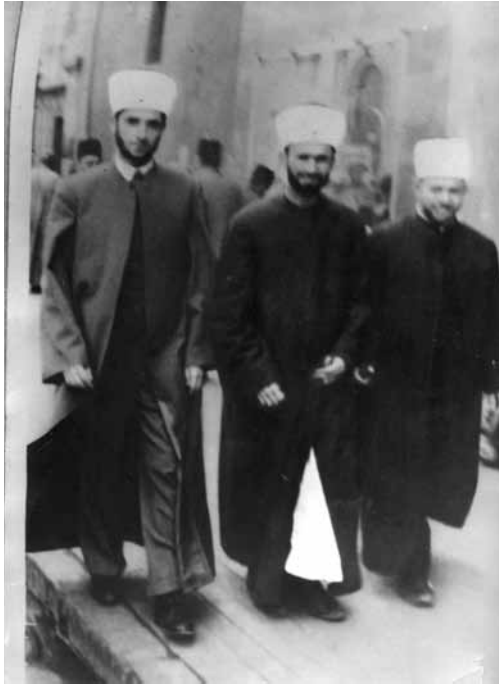
٢٣ بدر. عفيف. الشيخ فتح الله السلوادي. أدبه وحياته (رسالة ماجستير غير منشورة). جامعة القدس. ٢٠٠٠، ص ٣٥. ذكرت لي ابنته هالة بأنه ترك ثلاث وستين مخطوطة.

٢٤ بدر. مصدر سابق. ص ١٢٠.

٢٥ العسلي. كامل. التعليم في فلسطين من الفتح الإسلامي حتى بداية العصر الحديث. الموسوعة الفلسطينية. القسم الثاني. الدراسات الخاصة. المجلد الثالث. بيروت. ١٩٩٠، ص ٢١.

الإفتاء في محافظات الضفة الغربية وقطاع غزة سنة ١٩٩٥. تصادف أنهم كانوا زملاء في الأزهر في ثلاثينيات القرن الماضي. وهم الشيخ فتح الله السلوادي في دار الإفتاء في رام الله؛ والشيخ توفيق جرّار في دار الإفتاء في جنين؛ والشيخ هاشم صبري في دار الإفتاء في قلقيلية؛ والشيخ مشهور الضامن في دار الإفتاء في نابلس؛ والشيخ كمال الأغا في دار الإفتاء في غزة. وأنشأ الشيخ عكرمة صبري إلى أن الشيخ فتح الله السلوادي أبدى عدم رغبة في قبول المنصب في بداية الأمر.

٢١ للمزيد من المعلومات حول موضوعات شعر الشيخ فتح الله السلوادي وخصائصه الأدبية. راجع: عبّاد. عبد الرحمن. شاعر الأقصى المرحوم فتح الله السلوادي. جريدة القدس. الجمعة ٢٠٠٠/١١/١٠. وأيضاً: عفانة. إبراهيم. الشيخ الشاعر الحكيم. جريدة القدس. الجمعة ٢٠٠٠/١١/١٠.



من اليمين: الشيخ فتح الله السلواوي؛ حافظ صندوقة؛ عبد القديم زلوم. وهم في الأزهر سنة ١٩٤٢.



الشيخ فتح الله السلواوي بين تلاميذه في مدرسة الرملة. سنة ١٩٤٧.

وبعضهم فضل البقاء في مصر تاركاً بصماته على الساحتين الدينية والفكرية، كالشيخ عيسى منون.^{٢٠}

التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين.

٢٠ ولد الشيخ عيسى منون في بلدة عين كارم (ضواحي القدس) سنة ١٨٨٨. أخذ العلم من الشيخ يوسف الحبية. انتسب إلى الأزهر في سنة ١٩٠٤. وكان من أساتذته الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر. والشيخ عبد الحكيم عطا. والشيخ محمد حسنين مخلوف. نال شهادة الأهلية سنة ١٩١١. ثم العالمية. وأصبح شيخاً لرواق الشمام ومن جماعة كبار علماء الأزهر سنة ١٩٤١. له العديد من المؤلفات أشهرها «نبراس

وقد بقي الأزهر محط أنظار الطامحين في دراسة العلم الشرعي في فلسطين حتى نهاية النصف الأول من القرن الماضي، ولعل من أهم الدوافع التي أبقت على وهج الأزهر في نظر الفلسطينيين في مرحلة الانتداب البريطاني (المرحلة موضوع الدراسة) الدافع الوطني، حيث استفز سقوط فلسطين في أيدي البريطانيين مشاعر الفلسطينيين، الذين أحسوا مبكراً بالبعدين الديني والفكري للصراع على فلسطين، وهذا ما تؤكد شهادة الشيخ عبد الحميد السائح، إذ يقول عن تلك المرحلة: «وبعد مجيء الإنكليز، شعر أهل الغيرة في نابلس بالحاجة إلى وجود علماء لتفقيهم في دينهم وتعليمهم واجباتهم الدينية في مقاومة الاحتلال، فتألفت لجنة من العلماء والوجهاء برئاسة أستاذنا الشيخ أحمد البسطامي، لاختيار عدد من الطلاب لإرسالهم في أول بعثة دراسية إلى الأزهر، فكنّت ضمن من وقع الاختيار عليهم»^{٢٦}. وقد أدت الدوافع الاجتماعية والاقتصادية دوراً في الدفع باتجاه التعليم الديني العالي، فافتتحت العديد من المدارس، وظهرت العديد من المؤسسات الدينية، التي احتاجت إلى موظفين من طلبة الشريعة الإسلامية، مثل المجلس الإسلامي الأعلى.^{٢٧}

أما بالنسبة إلى الطلبة الأزهريين، فتشير بعض الدراسات إلى أنّ أغلب طلبة الأزهر الفلسطينيين في القرن التاسع عشر وفي النصف الأول من القرن العشرين، كانوا من العائلات الفلسطينية المدنية التي بادرت بإرسال أبنائها إلى الأزهر.^{٢٨} لكنّ ذلك لا يعني أنّ الريف الفلسطيني عجز عن إرسال أبنائه إليه، فهناك أعداد ملحوظة من الريفيين الذين تخرّجوا من الأزهر،^{٢٩}

٢٦ السائح عبد الحميد. فلسطين لا صلاة تحت الحراب. مذكرات الشيخ عبد الحميد السائح. بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ١٩٩٤. ص ٩.

٢٧ تأسس المجلس الإسلامي الأعلى سنة ١٩٢٢. وقد كان مسؤولاً عن ثماني عشرة محكمة شرعية. وست دوائر للأوقاف. وعشتر مدارس وكلية دينية. وكذلك عن عدة مؤسسات أهمها دار الأيتام الإسلامية. وعن أكثر من ١٢٥٠ موظفاً. ناهيك عن عدة مئات من مأذوني عقود الزواج تحت إشراف المحاكم الشرعية. وقد وصلت ميزانيته في سنة ١٩٤٧ قرابة ٤٨٢٩٤ جنيهاً. للمزيد من المعلومات حول المجلس الإسلامي الأعلى وصلحياته راجع: الحوت. بيان نوبهض. القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨م. كفر قرغ. دار الهدى للنشر والتوزيع. ٣٢٥، ١٩٩٨. ص ٢٠٥ - ٢١٠.

٢٨ أغلبية علماء الأزهر الفلسطينيين الذين ذكرهم عادل مناع في كتابه «أعلام فلسطين في أواخر العهد العثماني ١٨٠٠-١٩١٨» من مدينتي القدس وغزة.

٢٩ على سبيل المثال. يؤرخ عمر مشعل في مقالته «أهل العلم في سلواد عبر قرنين» لقرابة أربعة عشر عالماً من الأزهريين السلواوة. من بين عشرين أزهرياً تخرجوا من الأزهر في القرن

لكِنَّه يضيف عاملاً آخر وهو التنافس العائلي، الذي دفع البعض إلى إرسال أولادهم إلى الأزهر لتدعيم مكانة العائلة الاجتماعية والاقتصادية، وكذلك كون الأزهر المؤسسة التعليمية الوحيدة التي منحت طلابها شهادات جامعية لها سمعتها القوية في العالم الإسلامي.^{٣٦} ويبدو أنَّ الانتشار المبكر للتعليم في القرية شجَّع العديد من الطلاب لإكمال تعليمهم في الأزهر، إذ افتتحت أول مدرسة في القرية في إبان حكم إبراهيم باشا لبلاد الشام،^{٣٧} كما أنَّ وقوع القرية بمحاذاة الطريق الواصل بين مدينتي نابلس والقدس، واعتبارها محطة استراحة للمسافرين، قد ساهم في تحفيز أبناء سلواد للذهاب للأزهر.^{٣٨}

أمَّا بالنسبة إلى الشيخ فتح الله السلوادي فيعود قرار ذهابه إلى الأزهر إلى الرغبة المبكرة لوالديه بتعليمه،^{٣٩} وإلحاح مدرسيه بضرورة إرساله إلى الأزهر، لما رأوا من نباهته وتديُّنه رغم صغر سنه، وخصوصاً قريبه وأستاذه الشيخ يوسف السلوادي،^{٤٠} ويروي الشيخ فتح الله عن تلك المرحلة، فيقول: «أراد الله أن أذهب إلى مصر بتأثير من المرحوم الشيخ يوسف أبي جار الله السلوادي، ... رأني مداوماً على الصلاة في صغري، ... وظل ينصح والدي: «ابعد ابنك إلى الأزهر، قابليته للعلم واضحة، ...، والوادي يستغرب هذا الأمر، لكنَّه نشط له، وقال لعل ابنك يصبح

٣٦ صبري. مصدر سابق.

٣٧ حول تطور التعليم المدرسي في قرية سلواد. راجع: مشعل. عمر موسى. «سلواد حتى عام ١٩٤٨». مجلة صوت سلواد. (نيسان ١٩٨٧). ص ١٤.

٣٨ يشير الشيخ فتح الله السلوادي إلى أنَّ الشيخ الأزهرى أحمد القيم النابلسي والصحافي المناضل محمد علي الطاهر. قد ناما في سلواد ليلة واحدة وهما في طريقهما إلى مصر. وذلك في العقد الأول من القرن العشرين. بناء على ذلك يمكن أن يكون العديد من أزهريي منطقة نابلس قد مزروا بقرية سلواد. مثل العالم الأزهرى الشيخ يوسف أفندي البرقاوي (ت ١٩٠١) من قرية برقة قضاء نابلس. الذي أصبح في أواخر القرن التاسع عشر شيخاً لرواق الحنابلة في الأزهر. والشيخ منيب هاشم الجعفري النابلسي (ت ١٩٢٥) الذي أصبح بعد عودته من الأزهر مفتياً لمدينة نابلس.

٣٩ ذكرت لي عائشة قرايعن. زوجة الشيخ فتح الله. أنَّ سبب رغبة والديه في تعليمه يعود في البداية إلى تأثرهما بما تلقياه من تشجيع في هذا المجال من عائلة من دار استيتية. ربطتهم بها علاقة في إبان سكنهما في حيفا.

٤٠ ولد الشيخ يوسف السلوادي سنة ١٩٠٥. توجه إلى الأزهر في سنة ١٩٢٣. وحصل منه على شهادة الأهلية الخاصة بالغباء في سنة ١٩٢٧. عمل بعد عودته في الإمامة والخطابة والوعظ. اعتقل في سنة ١٩٣٦ على خلفية مشاركته في الثورة. وتوفي في سنة ١٩٧٦. ويذكر الشيخ فتح الله السلوادي في مخطوطته أنه تلقى دروساً على يد الشيخ يوسف قبيل سفره إلى الأزهر. تركزت في شرح الأخرومية وشرح ألفية ابن مالك. للمزيد من المعلومات حول حياة الشيخ يوسف السلوادي. راجع: مشعل. مصدر سابق. ص ٢٨.

وتعتبر بلدة سلواد- مسقط رأس الشيخ فتح الله السلوادي- شاهداً جلياً على اهتمام الريف الفلسطيني بالتعليم في الأزهر. فقد امتازت بكثرة أبنائها الدارسين فيه، حتى إنها اشتهرت منذ القرن التاسع عشر بلقب بلد المشايخ.^{٣١} ويُرجع عمر مشعل إقبال أهل سلواد على دراسة العلم الشرعي في الأزهر إلى عدة أسباب، منها: طبيعة التدين الفطري التي اتسم به سكان القرية؛ والدور الذي أدَّاه الأزهريون الأوائل من أهل البلدة من أمثال المشايخ عبد الله سلمان عبد الله،^{٣٢} وعبد الفتاح عبد القادر حمد بن زغرة،^{٣٣} وخليل إبراهيم عبد القادر عياد،^{٣٤} في إقناع بعض الطلبة المتميزين بالدراسة في الأزهر؛ إضافة إلى أن الأزهر في ذلك الوقت يكاد يكون الخيار الوحيد لمن يرغبون في طلب العلم من الشاميين وغيرهم.^{٣٥} يتفق الشيخ عكرمة صبري مع هذا التحليل،

العقول في تحقيق القياس عن علماء الأصول». توفي سنة ١٩٥٧. للمزيد من المعلومات عن عيسى منون. راجع: العودات. يعقوب. من أعلام الفكر والأدب في فلسطين. القدس. دار الإسرائ. ط٣. ١٩٩٢.

٣١ لمزيد من المعلومات حول الطلبة والعلماء الأزهريين في قرية سلواد. راجع: مشعل. مصدر سابق. ص ٢٣-٣٣. أود الإشارة إلى تميز قرية سلواد عن غيرها من القرى المجاورة بإرسال أبنائها إلى الأزهر حتى وصل عدد الأزهريين في سلواد قبيل النكبة إلى العشرين أزهرياً. في الوقت الذي كانت أعدادهم في القرى المجاورة قليلة، فعلى سبيل المثال بلغ عددهم في قرية المزرعة الشرقية قضاء رام الله أربعة (مقابلة مع رئيس بلدية المزرعة السيد مزروق النقلي. ٢٠١١/١٠/٢) وعددهم في عين بربود قضاء رام الله أربعة (مقابلة مع الأستاذ حاتم مصطفى حويح ٢٠١١/١٠/٣)

٣٢ ولد الشيخ عبد الله سليمان عبد الله في قرية سلواد سنة ١٨٢٠. أمضى في الأزهر اثني عشر عاماً. افتتح كتاباً في القرية سنة ١٨٥٨. وكان له دور بارز في الدعوة والإصلاح الاجتماعي. توفي سنة ١٩٠٢. للمزيد من المعلومات حول الشيخ عبد الله سلمان. راجع: مشعل. صدر سابق. ص ٢٣-٢٤.

٣٣ ولد الشيخ عبد الفتاح عبد القادر حمد بن زغرة سنة ١٨٣٧. أمضى في الأزهر اثني عشر عاماً. درَّس في مدارس القدس والمسجد الأقصى. من تلاميذه الشيخ عيسى منون شيخ رواق الشام. ودرَّس عدداً من الطلاب السلوادة قبل ذهابهم إلى الأزهر. مثل المشايخ خليل عياد وعبد الحميد أبو جودية والشيخ محمد بن زغرة. توفي سنة ١٩٠٩. للمزيد من المعلومات حول الشيخ عبد الفتاح بن زغرة. راجع: مشعل. مصدر سابق. ص ٢٥.

٣٤ ولد الشيخ خليل إبراهيم عبد القادر عياد في سلواد سنة ١٨٨٨. أمضى في الأزهر عشرة أعوام. تلمذ على يديه خلق كثير. منهم الشيخان الأزهريان صالح السلوادي ويوسف السلوادي. توفي سنة ١٩٦٩. للمزيد من المعلومات حول الشيخ خليل عياد. راجع: مشعل. مصدر سابق. ص ٢٦-٢٧.

٣٥ المصدر السابق. ص ٢٤-٢٦. على الرغم من أنَّ بعض الشاميين كانوا يفضلون طلب العلم في المسجد الأموي. إلاَّ إنَّ مكانة الأزهر العلمية لم يكن لها منافس بين المعاهد العلمية الأخرى.

عالمًا مثل مشايخ سلواد، ... رفضت وحاولت التهرب عن طريق الذهاب إلى حيفا لأجد أي عمل أقوم به، ويبعدني عن الحرج، ...، ولكن شاء الله أن تتغلب فكرتهم بعد محاولتي الهرب، إذ أنزلت من السيارة الذاهبة إلى حيفا، ...، وكنت أكره الشيخ يوسف لأنه هو السبب، لكنّه قال لي: «لا تغضب، تعال أعلمك...» وأجبتّه، وحفظني بعض المتون- رحمه الله- ووجدت العلم لذيذاً، ووجدت إقبالاً عند الشيخ، رأيته يعلمني أشياء لم أتعلمها من الشيخ صالح الحوراني، أستاذي في حيفا، وكذلك لم أتعلمها من الشيخ عز الدين رحمه الله، فالشيخ عز الدين كان يحمس الناس على الجهاد، ...، وأما هذا فقد أعطاني شيئاً من التوحيد، وشيئاً من الفقه، وشيئاً من القواعد، وسررت جداً من القواعد خاصة.^{٤١}

لكنّ نباهة وتدين الشيخ فتح الله لم يكونا الدافع الوحيد وراء زهابه إلى الأزهر، إذ يمكن أن يكون الحس الوطني واحداً من الأسباب؛ يدعم ذلك رواية الشيخ عبد الحميد السائح المذكورة آنفاً، والدور الذي أدّاه بعض مشايخ قرية سلواد في ثورة سنة ١٩٣٦ في محيط منطقتهم مثل الشيخ صالح السلوادي،^{٤٢} وقد كان الشيخ يوسف السلوادي، مدرّس الشيخ فتح الله السلوادي، ممن حضروا مؤتمر علماء فلسطين الأول سنة ١٩٣٥، الذي صدرت عنه الفتوى الشهيرة بتحريم بيع الأراضي للصهاينة،^{٤٣} وكان من الوطنيين الذين اعتقلوا في إبان ثورة سنة ١٩٣٦.^{٤٤}

استجاب الشيخ فتح الله السلوادي لرغبة أستاذه ووالده، فذهب إلى مدرسته للحصول على شهادة مدرسية ترفق مع طلب الالتحاق بالأزهر، وهناك جرى بينه وبين مدير المدرسة، ربحي العارف، حديث كان له أثر بالغ في قراره دراسة اللغة العربية، إذ يروي عن تلك الحادثة ما يلي: «... وطلبت منكم شهادة مدرسية، فأردت امتحاني بها، فأملت علي شيئاً أكتبه على اللوح، ولست أدري مدى رضاك عما كتبته، ثمّ سألتني: ما الفاعل؟ استغربت أنا السؤال، ومع ذلك أجبت قائلاً: الفاعل الذي يشتغل في

الورشّة، وهنا الطامة، لقد انفجر بعض الأساتذة ضحكاً، كما أخذ طلاب الصف السابع يتضحكون في سخريّة وتشفٍ معاً. وقال أحدهم (هذا بدو يصير أستاذاً!)، سألتني إلى أي الصفوف وصلت؟ قلت: الرابع، ومن كان يعلمك، قلت: الأستاذ بدوي كمال والشيخ عبد الرحمن الريماوي، وماذا كانت درجتك؟ قلت: الأول، وهنا قلت: الأول، الأول، كأنك تستنكر، وقلت على الفور: لعل سجلات المدرسة موجودة... إلخ».^{٤٥}

أخذ الشيخ فتح الله السلوادي ما يلزمه من أوراق ثبوتية، ثم اتجه بصحبة والده إلى القنصلية المصرية في القدس لطلب إذن بدخول مصر، وهناك التقيا بشيخ مُعّم فبادره الوالد بالسؤال: «أسيدينا الشيخ أزهرى؟ قال: نعم.

فقال والدي: أمثل ابني هذا يقبل في الأزهر؟ قال: يقبل إن شاء الله. ثمّ سألتني: إلى أي صف وصلت في المدرسة؟ فأجبتّه: الصف الرابع...

كان الشيخ طويل الجسم مهيب الطلعة.. جاد السمات.. جادا في كل قولة تدير منه. وسألنا من أي بلد أنتم؟ أجابنا من سلواد .. فقال: أنا من حيفا.. واسمي نمر الخطيب».^{٤٦} ورجاه والدي هل تتكرم بشيء من الإشراف على ابني هذا؟

فقال: نحن في الأزهر كلنا أخوة ويرعى بعضنا بعضاً.^{٤٧}

٤٥ السلوادي. مصدر سابق. ص ١٠٣.

٤١ يعتبر الشيخ محمد نمر الخطيب (١٩١٨-٢٠١٠) من الشخصيات الدينية والسياسية المعروفة في حيفا في إبان الانتداب. عمل مدرّساً في مدرسة البرج. أسس جمعية الاعتصام الإسلامية في حيفا. وكان ممن أشرّفوا على أعمال لجنة المقاطعة، كما شارك في معارك الدفاع عن حيفا سنة ١٩٤٨. وأصيب بعدة رصاصات. ترك العديد من المؤلفات في الدين والسياسة. توفي في السعودية في سنة ٢٠١٠. للمزيد من المعلومات حول السيرة الذاتية للشيخ محمد نمر الخطيب. راجع:

<http://www.alawda-mag.com/Default.asp?ContentID=1549&menuID=13>

٤٧ السلوادي. مصدر سابق. ص ٥٢.

٤١ حامد. مصدر سابق.

٤٢ ولد الشيخ صالح السلوادي سنة ١٩٠٧. التحق بكتّاب الشيخ عبد الفتاح المزمعواوي. ثمّ درس على يد الشيخ خليل عياد. نال شهادة العالمية من الأزهر في سنة ١٩٢٩. عيّن مدرّساً في دار الأيتام الإسلامية في القدس. ثمّ في عين كارم. وفي سنة ١٩٥٨ أصبح مديراً لمدرسة سلواد. وقد عرف عن الشيخ صالح السلوادي مشاركته في ثورة سنة ١٩٣٦. وتعرضه للاعتقال والتعذيب الشديد. للمزيد من المعلومات عن الشيخ صالح السلوادي. راجع: مشعل. مصدر سابق. ص ٢٨-٢٩.

٤٣ الحوت. مصدر سابق. ص ٨١٨.

٤٤ مشعل. مصدر سابق. ص ٢٨.

الشيخ فتح الله السلواي في رواق الشام

باسم بلده، كنا خمسة من الطلبة الذاهبين للتعرف والتحية، كان الشيخ قباطية يقول: شيخنا ابن عين كارم هو من جماعة كبار العلماء وهو فريد في علم الأصول، كما أنه شيخ كلية أصول الدين.. جلسنا قبالة الشيخ، وقد ذكر كل واحد منا اسمه وبلده، وينطلق الشيخ مُسألاً كل واحد عن المشايخ، الذين تخرجوا من الأزهر من قبل، وكان يسدي إلينا نصائحه، وكلها تدور حول الجد والاستقامة، وأوصانا قبل انصرافنا أن نزوره كل أسبوع وأن نعرض عليه كل مشكلة تعترض^{٥٢}.

كانت الأيام الأولى للشيخ فتح الله السلواي صعبة إلى حد كبير، وخصوصاً في التأقلم مع الواقع الاجتماعي والجو الدراسي الجديدين، لكنّه ما لبث أن تجاوز الصعاب، فقد يسّر الله له الشيخ البيروتي، سعد الدين الفتياي، الذي عاونه في تجاوز مشكلاته، لا سيما الأكاديمية منها^{٥٣}.

ويبدو أنّه، كما الكثير من طلبة الأزهر في ذلك الوقت، بقي يعاني من قلة مدخوله، فقد روى لتلاميذه قصصاً كثيرة عن حاجته إلى المال طوال سني إقامته في مصر، وخصوصاً في إبّان الحرب العالمية الثانية، وكيف ظل يعتمد على وقيفة الأزهر، إضافة إلى دينارين كان يرسلهما والده كل شهر^{٥٤}.

جرت العادة في بلدة سلواد أن تقام مراسم عائلية خاصة لوداع الطلبة الراغبين في الذهاب إلى الأزهر، وهذا ما حدث بالفعل، حيث أقام والد الشيخ فتح الله السلواي وليمة للأقارب، وقدمت الهدايا إلى الطالب المسافر، وتم تشييعه في موكب تخللته الأمازيج^{٥٥} إلى خارج البلدة. وصل الشيخ فتح الله السلواي مصر أوائل سنة ١٩٣٧، وتقدم لامتحان القبول، حيث امتحنته لجنة من شيوخين امتحاناً شفوياً^{٥٦}، وكان رئيسها الشيخ عبد المتعال الصعيدي^{٥٧}، ثمّ انضم إلى طلاب رواق الشام^{٥٨}، وسكن حجرة من حجره المتعددة^{٥٩}. وكانت العادة في حينه أن يبادر الطلبة الجدد بالسلام على شيخ الرواق وتحيته والتعرف عليه، وهذا ما فعله الشيخ فتح الله مع زملائه. يقول عن أيامه الأولى في الأزهر: «كان علينا حقاً أن نذهب إلى منزل شيخ الرواق لنسلم عليه ونحبيه ويجري بيننا تعارف.. كما جرت العادة. كان الشيخ يسكن حي شبرا.. وكان دليلنا إلى منزله الشيخ محمد الحمد أو الشيخ قباطية كما تعارف الطلاب تسميته

٤٨ قراعين. مصدر سابق.

٤٩ بدر. مصدر سابق. ص ٨.

٥٠ ولد الشيخ عبد المتعال الصعيدي سنة ١٨٩٥ في مصر. التحق بالأزهر الشريف وأصبح أحد علمائه. عمل أستاذاً في كلية اللغة العربية. وعضو مجمع اللغة العربية في القاهرة. وله مشروع إصلاح في التعليم والفكر الإسلاميين. يعتبر واحداً من الأوساط الثقافية الإسلامية منذ أربعينيات القرن الماضي. له العديد من المؤلفات. توفي في سنة ١٩٧١. للمزيد من المعلومات حول الشيخ عبد المتعال الصعيدي. راجع: البيومي، محمد رجب، النهضة الإسلامية في سبر أعلامها المعاصرين. دمشق. دار الفلم، ١٩٩٥. ص ١٩٩٩ - ٢٢٠.

٥١ أنشأ السلطان قايتباي رواق الشام سنة ٧٣٩ هـ. وهو مقر للطلاب الوافدين من بلاد الشام. وبحسب المؤرخ كامل العسلي في دراسته سالفة الذكر فقد كان معظم المجاورين في رواق الشام في سنة ١٩٠٣ من الفلسطينيين. فمن بين ٢٢٢ منهم. كان عدد الفلسطينيين ١٣٥ مجاوراً. للمزيد من المعلومات حول الأروقة في الأزهر الشريف. راجع: زيتون، محمد شنتا. تأثير الأزهر في الخارج بين الماضي والحاضر. مجلة الأزهر. الجزء التاسع. السنة الخامسة والخمسون. يونيو (حزيران) ١٩٨٣.

٥٢ يذكر الشيخ عبد الكريم عباد أنّ من المشايخ الذين سكنوا مع الشيخ فتح الله في الغرفة نفسها: مشهور الضامن ورامز مسمار وعبد العزيز الخياط من نابلس. وراتب الحرازين من غزة. وعبد القديم زلوم من الخليل. مقابلة مع الشيخ عبد الكريم عباد. (أحد تلاميذ الشيخ فتح الله السلواي). أجريت بتاريخ ٢٠١١/٩/٩.

نظام التدريس في الأزهر

يتطرق الشيخ فتح الله السلواي في مخطوطته إلى أقسام الأزهر الشريف وكلياته في ذلك الوقت، والشهادات التي كان يمنحها، ويتناول بتفصيل يدل على ما كان يكتّه من احترام وتقدير لعلمائه ومدرسيه، ما أتبعه أساتذة الأزهر من وسائل في التدريس^{٥٦}. وبحسب الشيخ فتح الله السلواي، فقد اعتمد نظام التعليم في القسم العام أو

٥٣ السلواي. مصدر سابق. ص ١.

٥٤ بدر. مصدر سابق. ص ٨.

٥٥ عباد. مصدر سابق.

٥٦ يلتقي الشيخ عبد الحميد السائح في مذكراته مع الشيخ فتح الله السلواي في الموقف الإيجابي من الأزهر بل إنّ الشيخ السائح يغالي في التعبير عن إعجابه بمدّرسي الأزهر وينظام التدريس فيه. على عكس الشيخ إبراهيم القطان، الذي وفد إلى الأزهر من الأردن في الوقت نفسه. إذ تُسَنّ في مذكراته هجومًا لاذعًا على الأزهر وعلى نظامه في التعليم وعلى مدرّسيه. وللمزيد من المعلومات عن تقييم الشيخ إبراهيم القطان للأزهر. راجع: المذكرات والرحلات للشيخ إبراهيم القطان. تحرير: صلاح جرار وريم القطان. عمان. وزارة الثقافة. ط ١. ٢٠٠٧.

مشايخه في الأزهر

يفرد الشيخ فتح الله السلوادي جانباً من مخطوطته للحديث عن سبعة من مشايخه في مصر، ولا يكتفي بتبيان ما درسه على أيديهم، بل ينتقل لسرد بعض مما عاشه من مواقف ذات الأثر في الواقعيين الديني والثقافي، ويتطرق إلى أساليبهم في التدريس، وما حازوه من مكانة علمية مرموقة، ويشرح جانباً من علاقته الشخصية بهم، وأجد من المفيد هنا تسليط الضوء على ذكرياته عن بعضهم:

١. **الشيخ عيسى مئون:** من أوائل من تعرف عليهم من علماء الأزهر، كان حينها شيخاً لرواق الشام، وأحد جماعة كبار العلماء، وقد قامت بينهما علاقة وطيدة، يتضح ذلك من كثرة تردده عليه في بيته في حي شبرا، وما سجله من حوارات علمية جرت بينهما، كان فيها الشيخ عيسى مئون ناصحاً وموجهاً وممتحناً،^{٦٤} وبحسب ما روى الشيخ فتح الله السلوادي، فقد كان الشيخ عيسى من أكثر من أثار في نفسه دفعا نحو الاجتهاد وتأثراً بالعلم، وقد ألح عليه بالبقاء في مصر والتدريس في الأزهر بعد التخرج،^{٦٥} ومما ذكر من نصائحه له، تحذيره من العودة لمسقط رأسه سلواد؛ «لأن القرى مقابر العلماء»، ونقل عنه كذلك كثرة ترحمه على الشيخين عبد الفتاح السلوادي، الذي اعتبره أقوى من علمه العربية والمنطق في المسجد الأقصى، وأمين العوري الذي وصفه بأنه أقوى زميل وصديق.^{٦٦}
٢. **الإمام الأكبر الشيخ عبد الحليم محمود:**^{٦٧} تعرف

الأزهر القديم في تلك المرحلة على نظام الحلقات، بعيداً عن التقيد بسنين منتظمة، حيث كان الشيخ يجلس «على كرسي يوضع بجانب عمود من عمد الأزهر ووجهه على القبلة». ويلتف الطلاب حول الشيخ جالسين على حصر مفروش على أرض الأزهر الشريف، والأزهر متسع.. والشيوخ كثيرون.. والحلقات متعددة».^{٦٧} كما سمح بحرية اختيار الطلاب لشيوخهم، وكان يتدخل في هذا الاختيار قدرة الطالب على «هضم ما يختار، ومدى استيعابه لما يدور بين الشيخ وطلابه».^{٦٨} ويروي الشيخ فتح الله السلوادي أن الطلبة القدامى اعتادوا مساعدة الطلبة الجدد، وهذا ما اشتهر به الشيخ إبراهيم القطان،^{٦٩} فقد كان في الدفعة التي سبقت الشيخ فتح الله السلوادي، وقد قامت صداقة بين الاثنين، ذكرها الشيخ فتح الله السلوادي في مخطوطته.^{٧٠}

يشير الشيخ فتح الله السلوادي إلى أن نظام التعليم في الأزهر في ذلك الوقت، كان يفرق بين الطلبة المصريين ونظرائهم من خارج مصر، فكان الطالب المصري يدرس «منهاجاً معيناً في المعارف الدينية على اختلافها، والعربية نحواً وصرفاً وبلاغة، وتاريخاً وفلسفة، وعليه بعد ذلك أن يثبت أنه أمضى اثنتي عشرة سنة في الأزهر أو في ما يشابهه من معاهد.. وحامل هذه الشهادة يمكنه أن يكون موظفاً في الأزهر الشريف...، والعالمية الأخرى هي عالمية الغرباء ومنهاجها أقل كثيراً من منهاج العالمية المصرية، ولا يشترط فيها مدة معينة، فقد ينالها بعضهم في سنة وقد ينالها بعض آخر في أكثر من السنين، ولا يسوغ له أن يكون موظفاً في الأزهر أو غيره في مصر».^{٧١} وكان يشترط فيمن يريد التقدم لنيل شهادة أزهريّة أهلية أو عالمية أن يدرس مساقاً يدعى التعيين، وهو «باب معين من أبواب علم ما، يعين للطلاب المتقدم للامتحان ليتمتحن فيه أمام لجنة من العلماء الكبار.. امتحاناً شفهياً بالغ الدقة».^{٧٢} وقد درسه الشيخ فتح الله السلوادي على يد الشيخ أحمد القيم النابلسي، أستاذ

٦٣ المصدر السابق، ص ٤٢.

٦٤ تذكر عائشة قراعين أنّ الشيخ فتح الله كان موضع ثقة الشيخ عيسى مئون. وكان يسميه الطيّب. كما نقل له رغبته في توظيفه في الأزهر، وتزويجه ابنته.

٦٥ حامد، صدر سابق.

٦٦ السلوادي، مصدر سابق، ص ٢.

٦٧ ولد الشيخ عبد الحليم محمود في قرية أبو أحمد بمحافظة الشرقية في مصر سنة ١٩١٠، وحصل على الشهادة العالمية سنة ١٩٣٢. نَحّ الدكتوراه من جامعة السوربون في فرنسا سنة ١٩٤٠، تولّى عدة مناصب علمية، منها أمانة مجمع البحوث الإسلامية مشيخة الأزهر سنة ١٩٧٣، وله مواقف عديدة. عارض فيها التوجه العام للنظام الناصري في مصر، مثل رفضه تعديل قانون الأحوال الشخصية، ورفضه إقرار قانون يخص الخمر.

٥٧ السلوادي، مصدر سابق، ص ٦١.

٥٨ المصدر السابق، ص ٨١.

٥٩ ولد الشيخ إبراهيم القطان في عمّان سنة ١٩١٩ م. نال شهادة العالمية من الأزهر سنة ١٩٣٩ م. تقلد عدة مناصب. منها قاضي القضاة ووزير التربية والتعليم وسفير في المغرب وباكستان. له العديد من المؤلفات. توفي في سنة ١٩٨٤. للمزيد من المعلومات عن حياة الشيخ إبراهيم القطان. راجع: السلوادي، مصدر سابق، ص ٦١-٦٤.

٦٠ السلوادي، مصدر سابق، ص ٦٤.

٦١ المصدر السابق، ص ١٠٤.

٦٢ المصدر السابق، ص ٤١-٤٢.

الشيخ فتح الله السلوادي عليه في سنة ١٩٤١، وقد استفزَّ عقله منطق الشيخ عبد الحليم محمود الفلسفي وفكره الحرَّ المجبول بلون من الإنسانية، يختلف عمَّا ألفه طلاب الأزهر من مشايخهم، واسترعى انتباهه تركيزه على الدعوة إلى استنهاض الشرق والاعتزاز بحضارته ومآثره. وعلى الرغم من إشارته إلى حدِّه في طبعه أحياناً، إلاَّ إنَّه أعجب بأسلوبه في التدريس، وطريقته في جلب انتباه الطلاب، وأثار استغرابه هيأته وهندامه المعاصر، إذ كان ذلك في عرف الأزهر جديداً. درَّسه مساقات في الفلسفة اليونانية والعربية والفكر الحديث مدة ثلاثة أعوام، وكان يلخُّ عليه لإرساله إلى الدراسة في فرنسا.^{٦٨} وبحسب الشيخ فتح الله، فإنَّ من محاسن الإمام الأكبر أنَّه كان «يرضى عن كتابة كل طالب، ولو تعارضت في نتائجها، ولا يقر الإجابة الخاطئة، لكنَّه يجعل اعتباراً لوجهات النظر، كما كان يهتم بسلامة الأداء وتسلسل الأفكار».^{٦٩}

ويروي الشيخ فتح الله عن لقائه الأول بالشيخ عبد الحليم محمود: « في سنة ١٩٤١ أو في أواخرها، من حيث الدوام الدراسي دلَّف إلى حجرة السنة الثانية من كلية اللغة العربية رجل يلبس الثياب الإفرنجية، ووقف بجانب المنصة التي يجلس في العادة على كرسي عليها المدرسون والمحاضرون.. أخذ الطلاب بعمائمهم البيض ينظرون إليه في حيرة واستفسار، وكأنَّهم يقولون من هذا الرجل؟ ... ومضت فترة من الوقت والطلاب صامتون ينظرون بحيرة.. ثمَّ أخذ الرجل يتحرك بجانب المنصة كمن يريد أن يقول أو يفعل شيئاً، ثمَّ قال هذا الرجل بعد صمت يا شباب! أنا ضيف عندكم.. واعتلى الرجل المنصة، وأدركنا أنَّه أستاذ لنا، ثمَّ بادرنا بهذا السؤال، هل نحن جميعاً أيقاظ أم نائمون... وتفاوتت الأجوبة المتعددة.. وكان يبطل كل إجابة بقوله: هذا أيضاً يكون في الأحلام.. ووقف الطلاب أو قعدوا في حيرة وارتباك، ورفعت يدي مستأذناً لأجيب فسمح لي، وقلت حينما نكون في حالة حلمية ونرى ما نرى في المنام تجيء صورة اليقظة فتدلنا على أننا كنا حالمين.. فأصغى

ومعارضته للمحاكمات العسكرية التي أجراها النظام ضد الجماعات التكفيرية، توفي سنة ١٩٧٨. للمزيد من المعلومات حول الشيخ عبد الحليم محمود، راجع: عبد الرحمن، سعيد، شيوخ الأزهر، القاهرة، الشركة العربية للنشر والتوزيع، ج٥، ١٩٩٧.

٦٨ حامد، مصدر سابق.

٦٩ السلوادي، مصدر سابق، ص ١٠.

الرجل ليقول: ليس جواباً ولكنَّه أقرب كلام إلى الإجابة».^{٧٠}

٣. **الشيخ عبد المتعال الصعيدي:** قابله الشيخ فتح الله أول مرة عندما كان يدرِّس في القسم العام، كان فكر الشيخ عبد المتعال الصعيدي ومواقفه العلمية محط جدل داخل الأزهر،^{٧١} وكان بعض الطلبة يترددون في الالتحاق بحلقته، لكنَّ الشيخ فتح الله السلوادي حسم أمره وقرر الانضمام إلى حلقته، واضعاً بالحسبان «تركة إن رأى منه ما يمس الدين»، وكانت دروسه في شرح ألفية ابن مالك، ويبدو أنَّ الشيخ فتح الله السلوادي قد أعجب بما سمع، إذ يقول واصفاً شيخه الصعيدي «كان الشيخ دقيقاً في شرحه، عميقاً في استكناه كل معنى تحتله النصوص، وإذا أضيف إلى الشرح ما أضيف من حواشي الخضري كان الدرس مرحلة متقدمة في علم اللغة، يضاف إلى ذلك طريقة التحقيق والمحاكمة التي كان يتوخَّاهَا الشيخ في العلاقة بين المتن والشرح، ثمَّ ضرورة الحرص على معرفة معنى الكلمة ومن أي باب من الأبواب الصرفية هي».^{٧٢}

٤. **الإمام الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي:** تناول الشيخ فتح الله السلوادي في حلقته عن الشيخ المراغي بعضاً من مواقفه، وذكر بإيجاز، موقفه الشهير من الحرب العالمية الثانية، وعلق على حسن إدارته لمشيخة الأزهر، وأشاد بطريقته في التعامل مع مطالب الطلبة وحنوِّه عليهم، وأتى بأمثلة على

٧٠ المصدر السابق، ص ٩.

٧١ عُرف عن الشيخ عبد المتعال الصعيدي جرأته في طرح بعض القراءات التجديدية في الفكر الإسلامي. وقد أدى رأيه في قضية الحدود في الإسلام، وخصوصاً حدَّي السرقة والزنا إلى أن حاكمه الأزهر، ومنعه من الترقية مدة خمسة أعوام. ونقله من كلية اللغة العربية بالقاهرة إلى القسم العام بطنطا. لكنَّه أُعيد فيما بعد لمزاولة التدريس في كلية اللغة العربية. للمزيد من المعلومات حول آراء الشيخ عبد المتعال الصعيدي الفقهية راجع: رجب، محمد، من أعلام الأزهر الشيخ عبد المتعال الصعيدي، مجلة الأزهر، الجزء الثاني، السنة الثامنة والخمسون، أكتوبر/نوفمبر (تشرين الأول/تشرين الثاني) ١٩٨٥.

٧٢ السلوادي، مصدر سابق، ص ١٨.

٧٣ ولد الشيخ محمد مصطفى المراغي في مركز المراغة في صعيد مصر سنة ١٨٨١. حفظ القرآن في صغره، وتلمذ على يد الشيخ محمد عبده، تولَّى منصب قاضي القضاة في السودان، وتولَّى مشيخة الأزهر سنة ١٩٢٨. وكان أصغر من يتولى هذا المنصب سنّاً في تاريخ الأزهر. عرف بموقفه الراض لمشاركة مصر في الحرب العالمية الثانية وقال حينها قولته الشهيرة «إنها حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل». وكان المراغي عالماً في التفسير، وله بحث مشهور في ترجمة القرآن، توفي في سنة ١٩٤٥. للمزيد من المعلومات حول الشيخ المراغي، راجع: عبد الرحمن، سعيد، ج٥، مصدر سابق.

ذلك، كما شرح بعضاً من إسهاماته العلمية.^{٧٤}

٥. الإمام محمد حبيب الله الشنقيطي: ^{٧٥}داوم الشيخ فتح الله السلوادي على حضور دروس الشيخ الشنقيطي في مسجد سيدنا الحسين، وتحديداً في شهر رمضان من كل عام، وقد روى عن تلك الأيام فقال: «جلست في حلقة درسه، وكان الحاضرون كثيرين جداً، ومما أثار انتباهي ودهشتي أنه يكثر في الحاضرين على هذا الشيخ الجليل كبار الأساتيد والعلماء في الأزهر والجامعة المصرية - كما كانت تسمى ذلك حين- ودار العلوم وكبار العلماء في المجمع اللغوي وسائر المعاهد..

كان الشيخ على كرسيه كما شهدته عينا، ذا لباس بسيط بعمامة يسيرة لا تأنق فيها، ولا تعجل، تذكر بعمائم السلف.. كان يقرأ الحديث الشريف، يبدأ بالسند، ثم يعطي شرحاً موجزاً عن كل واحد، ثم يذكر رتبته من حيث العدالة والضبط، ويأخذ في توضيح المتن.. ثم يشرح الكلمات اللغوية، وتصرفاتها وشتي استعمالاتها، ويورد بعضاً من الشواهد لها شعراً ونثراً، حتى يخيل لمن يسمعون أنهم عند أبي علي القالي في كتابه الأمالي، أو عند ابن قتيبة في عيون الأخبار..

وبعد ذلك يشرح الحديث والهدف الإرشادي فيه، حتى يخيل للسامعين أنهم في عصر النبوة أو التابعين، وكان إذا تحدث عن عيب اجتماعي أو نقيصة في قوانين الدول الإسلامية يتحدث بصراحة ولا يهتم بما عساه يكون.^{٧٦}

٦. الإمام محمود شلتوت: ^{٧٧}واظب الشيخ فتح الله

السلوادي على الاستماع إلى محاضرات الإمام شلتوت، لا سيما توجيهاته ومناقشاته المتقدمين برسائل الدكتوراه، وقد أعجب بسير الإمام شلتوت على درب العلماء والمفكرين الكبار أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وبما عرفه من اهتمامه بأحوال المسلمين، وبما أحدثه من نقلة نوعية داخل الأزهر، فقد كان «يكثّر من مقاعد البعثات في الأزهر الشريف، وقد ساد بذلك على درب أسلافه الصالحين من إرسال دعاة إسلاميين إلى شتى البلاد الإسلامية».^{٧٨}

٧. الشيخ أحمد القيم النابلسي: ^{٧٩}أخذ الشيخ فتح الله السلوادي التجويد على يد الشيخ النابلسي، وكان أحد تلاميذه في سنة ١٩٣٩ في مادة التعيين، عندما أراد التقدم لنيل الشهادة العالمية، ويبدو أن جواً من الودّ قد جمع الطالب وأستاذه، وخصوصاً بعد أن روى له الشيخ النابلسي ذكرياته في قرية سلواد، وأنه يرغب في العيش فيها بعد إحالته على التقاعد. ويذكر الشيخ فتح الله السلوادي أنه نقل هذه الرغبة لأهل بلده، فرحبوا بالفكرة، لكنّ الشيخ النابلسي مرض ومات في القاهرة قبل تحقيق رغبته رحمه الله.^{٨٠}

الحراك الثقافي والفكري في مصر كما عايشه الشيخ فتح الله السلوادي

تعطي تجربة الشيخ فتح الله في مصر، كما رواها في مخطوطته، معلومات تفصيلية عن المراكز الثقافية والفكرية التي اعتاد ارتيادها، حيث صيغت داخلها الملامح الأساسية لثقافة النخبة الأزهرية في ذلك الحين، وهي توضح مدى انعكاس المشهد الثقافي المصري والقضايا الفكرية، التي شغلت بال المفكرين المصريين في حينه على ثقافته وقناعاته الفكرية، حيث تبين طول عمره ثقافة ذات مرجعية قومية إسلامية.^{٨١}

شلتوت، راجع: عبد الرحمن، سعيد، ج.٤، مصدر سابق.

٧٨ السلوادي، مصدر سابق، ص.٢٩.

٧٩ ولد الشيخ أحمد القيم النابلسي في نابلس سنة ١٨٧٠، رحل إلى الأزهر وهو في الخامسة عشرة. عمل أستاذاً للتجويد وعلم القراءات في الأزهر. توفي سنة ١٩٣٩. للمزيد من المعلومات حول الشيخ النابلسي، راجع: السلوادي، مصدر سابق، ص ٤١-٤٣.

٨٠ السلوادي، مصدر سابق، ص ٤٢-٤٣.

٨١ تبدو ثقافته ذات التوجهات القومية الإسلامية حاضرة بقوة في شعره ونثره وخطبه المنبرية.

٧٤ السلوادي، مصدر سابق، ص ٣-٥.

٧٥ ولد الإمام الشنقيطي في قرية تكّبة من بلاد شنقيط في موريتانيا سنة ١٨٧٨. وأخذ القرآن واللغة عن علمائها. ترك بلاده إلى المغرب عندما احتلت فرنسا موريتانيا. درس المنطق والحديث. ثم توجه إلى الحجاز فدرّس في مكة والمدينة. ويقال إنه أخرج من الحجاز. واستقر به المقام أخيراً شيخاً للحديث في الأزهر. وقد عدّه الكثير من العلماء بخاري هذا العصر. وكان يحفظ كتب الحديث السنة المعروفة. ترك العديد من المؤلفات. توفي سنة ١٩٤٤. للمزيد من المعلومات حول السيرة الذاتية للشيخ الشنقيطي، راجع: <http://www.almashhed.com/t30569.html>.

٧٦ السلوادي، مصدر سابق، ص ٢١-٢٢.

٧٧ ولد الشيخ محمود شلتوت سنة ١٨٩٣، نال شهادة العالمية من الأزهر سنة ١٩١٨، وعمل وكيلاً لكلية الشريعة فيه. أصبح عضواً في جماعة كبار العلماء، ثمّ شيخاً للأزهر سنة ١٩٥٨. كان عضواً في مجمع اللغة العربية. وهو أول حامل للقب الإمام الأكبر. فصل من الأزهر مدة ثم عاد إلى العمل فيه. اشتهر ببعض فتاويه كجواز التعبد بمذهب الشيعة الإثني عشرية. توفي سنة ١٩٦٣. للمزيد من المعلومات حول الشيخ محمود

يعتبر رواق الشام في الأزهر من أكثر الأمكنة التي قضى فيها الشيخ فتح الله السلوادي وقته في طلب العلم، فقد كان الرواق بحجره المتعددة مركز تجمع لطلاب الشام في الأزهر، يزوره العلماء والأدباء والشعراء^{٨٢}، وتجري داخل حجره معظم النقاشات الفكرية^{٨٣}. تأثر الشيخ كثيراً بالأجواء الثقافية داخل الأزهر، وتعطي المخطوطة مؤشراً على مدى افتتانه وحبّه لمدرسيه وما منحوه من ثقافة دينية، ظل وفيّاً لها طوال عمره، وتوضح المخطوطة في أكثر من محطة جملة الأفكار التي كان علماء الأزهر يبتونها بين الطلاب، مثل دور العقيدة الإسلامية في نهضة الأمة، وفكرة الوحدة الإسلامية وضرورة نهضة الشرق وأهمية اللغة العربية في النهضة، والصحة الإسلامية، والمؤامرات ضد الإسلام، ودور طلاب الأزهر في سد حاجات المسلمين من الثقافة الإسلامية، والتقريب بين المذاهب... إلخ.

التزم الشيخ فتح الله السلوادي بحضور المحاضرات والندوات، التي كانت تعقدتها العديد من الجمعيات ذات الصبغة الفكرية والأدبية كجمعية الأخوة الإسلامية في القاهرة، التي تردد عليها كثيراً، واستمتع بالمحاضرات والمناظرات التي كانت تقيمها، والتقى داخلها بعدد من مشاهير الفكر والأدب^{٨٤}، وتردد أيضاً على دار الأخوان المسلمين في الحلمية، واستمع لدروس مرشد الأخوان المسلمين، الإمام حسن البنا، وكذا جمعية الشبان المسلمين ومسجد سيدنا الحسين ومسجد العتبة^{٨٥}. ولعل في بعض ما ذكره عن المناظرات التي اعتاد حضورها، ما ينبئ عن طبيعة الجدل الفكري الذي شهدته الساحة الثقافية في مصر في ذلك الوقت، ويشير إلى أسماء عدد من المفكرين والكتّاب ممن شكّلوا المشهد الثقافي في حينه. ومن ذكرياته عن بعض تلك المناظرات، مناظرة حضرها في الجامعة المصرية، حيث يقول: «ولا أزال أذكر مناظرة جرت في مدرج الجامعة المصرية في القاهرة، وقد حضرها كثير من المتقنين المتطلعين إلى الغد، وفي مقدمتهم المرشد العام للأخوان المسلمين، قال

عبد القادر حمزة، صاحب جريدة البلاغ: نحن شعب مصر ننتمي إلى الفراعين أعرق وأمجّد أمة في فجر التاريخ ولا تزال آثارهم تنطق بالمجد... كان للمرحوم عبد القادر حمزة مؤيدون، كان الدكتور طه حسين والشيخ أمين الخولي وسلامة موسى في مقدمتهم.

وانبرى المرحوم عبد الوهاب عزام ليبدلي بدلوه في هذا الحشد الكبير، فقال: يذكر السيد المناظر جملة من المآثر القديمة وكأنا يريد أن يجعلها في مقابلة مآثر الحضارة العربية الإسلامية. ومع ذلك فلنسال أنفسنا مخلصين ولنسال التاريخ متفحصين موازين. أيهما أنفع وأبقى وأرجح في موازين التاريخ.. القاهرة الفاطمية الإسلامية أم الأهرامات؟... إلخ.^{٨٦}

الشيخ فتح الله السلوادي ونشاطه الأدبي والفكري في إبان الدراسة في الأزهر

بدأ الشيخ فتح الله السلوادي في الكتابة نثراً وشعراً وهو في الأزهر. ويبدو أنه قد أخذ الإحساس المرهف، والتلقائية في قول الشعر عن والديه^{٨٧}. أمّا عن دوافعه للكتابة فيقول: «حبيني بالكتابة قضية فلسطين والعمل لفلسطين، فكانت كتاباتي أولاً عن بلادنا فلسطين والحماسة للجهاد، وحقاً البعد عن الأهل كان يكوّن عنصراً من الشوق، وحب البلاد أيضاً، إذ كنت أحب بلادي كثيراً. لم أذهب في مصر إلى ملهى أو شيء يتسلى به الناس، كنت منفرداً دائماً وعاكفاً على الكتب. فرجتي وسلوتي أن أتذكر البلاد، وهذه المعاني كنت أكتبها في الصحف»^{٨٨}. ويبدو أن وجوده في مصر بأجوائها الثقافية المتميزة، وكثرة أدبائها وشعرائها، قد ساهم بشكل كبير في اكتشاف موهبته الأدبية وقدراته الشعرية، إذ ما لبث أن نشر مقالاته وأشعاره في مختلف الصحف المصرية، مثل السياسة الأسبوعية والأمصار والأهرام والمصري^{٨٩}. نشر الشيخ فتح الله السلوادي قصيدته الأولى في

٨٢ من المفكرين الأجانب الذين زاروا الرواق وقابلهم الشيخ فتح الله السلوادي الفيلسوف والمستشرق الفرنسي ماسينيون. كما قابل العديد من الشعراء وتعرف عليهم داخل حجرته في رواق الشام مثل: الشاعر حسن البحيري.

٨٣ يشير الشيخ فتح الله السلوادي في مخطوطته إلى طبيعة الحراك الثقافي والنقاش الفكري الجاد الذي كان يدور بين الطلاب. وخصوصاً عند حديثه عن ذكرياته مع الشيخان إبراهيم القطان ويوسف النجار.

٨٤ حول ترده على جمعية الأخوة الإسلامية. وسماعه للمحاضرات فيها. راجع: السلوادي، مصدر سابق، ص ٦-٨.

٨٥ المصدر السابق، ص ٢٤-٢٥.

٨٦ السلوادي، مصدر سابق، ص ٦-٧.

٨٧ السلوادي، لبني فتح الله، مصدر سابق.

٨٨ . حامد، مصدر سابق.

٨٩ أدت مصر دوراً مركزياً في اكتشاف العديد من الشعراء والأدباء الفلسطينيين في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. نذكر على سبيل المثال الشيخ يوسف النبهاني (١٨٤٩-١٩٣٢)، والشيخ علي الرماوي (١٨٦٠-١٩١٩)، والكتّاب محمد علي الطاهر (١٨٩٤-١٩٧٤).



الشيخ فتح الله السلواوي بين كتبه. سنة ٢٠٠٠.

مصر سنة ١٩٣٧،^{٩٠} وكان ذلك ثمرة لتشجيع تلقّاه في لقائه الأول مع طالب في السنة الأولى في كلية اللغة العربية يدعى أحمد الشرباصي،^{٩١} وقتها بادره الشرباصي بالقول: «أنتم الأخوة الشوام أهل أدب وتفنن في أنواع الأدب».

قلت: ومصر هي المعلم وهي المورد الأصل.
قال: هل حاول أحد منكم نظم الشعر؟
فقال زميلي: أخونا الشيخ له بعض محاولات.. وهو كأبي بادئ ينظر له إذا جد مستقبل.
فألح الشرباصي: قائلًا: هات أسمعنا.

وترددت في الاستجابة.. لقد كانت في جيب جبتي قطعة من الشعر قلتها متشوقاً لأهلي، لكن سخر منها بعضهم، واعتبرها آخرون كلاماً فارغاً وأخرجتها من جبتي، وقرأتها، وأنا أتوقع أن يهزأ بها من يستمع إليها. وفوجئت بقول الشرباصي: هذا هو الشعر.. قلت ألسنت تبالغ يا صديقي؟ قال: لا أبالغ.. أتحب أن تنشرها في مجلة؟ وقلت نعم، إذا كانت صالحة للنشر. وبعد أسبوع رأيتها منشورة في مجلة تصدرها كلية الحقوق.^{٩٢}

لم يحتفظ الشيخ فتح الله السلواوي بقصيدته الأولى، لكن بقي في ذاكرته ثلاثة أبيات منها:

يا خليلي .. والبعاد مؤسّي زاد وجدي وزاد حزني وبؤسي
أين أمي؟ لم أحتمل بعد أمي صوتها لم يزل يشيع بحسي
لم أعد أستطيع بعداً عن الأم فأمي إسعاد نفسي وأنسي^{٩٣}

كان الشيخ الشرباصي مصدر عون للشيخ فتح الله، وهو من عرفه على الشيخ علي الغاياتي،^{٩٤} الذي رحّب بقصائده، ونشر له بعضها على صفحات جريدة منبر

الشرق منذ سنة ١٨٤١، كما نشر في مجلة الأنصار القاهرية والسياسة الأسبوعية،^{٩٥} وفي جريدة الدفاع الفلسطينية سنة ١٩٤٢،^{٩٦}

أمّا الشيخ إبراهيم القطان، فقد كان لنصائحه أثر واضح في مسيرة الشيخ فتح الله الشعرية، حيث داوم، وهما في الأزهر، على إهداء النصح له حول ما يشتري أو يقرأ من دواوين الشعر.^{٩٧}

لم يكتف الشيخ فتح الله السلواوي بنظم الشعر، لكنّه احتك بالشعراء، وقدّم معارفه في خدمتهم، وهذا ما يتضح من سيرته مع الشاعر المصري أحمد رامي،^{٩٨} فقد تعرّف عليه عن طريق الشاعر حسن البحيري،^{٩٩} الذي

٩٠ قدم غفيف بدر في رسالته العلمية الشيخ فتح الله السلواوي أديبه وحياته. شرحاً وافياً لشعره وخصائصه الأدبية.

٩١ ولد الشيخ الشرباصي في الدقهلية في مصر سنة ١٩١٨. نال شهادة العالمية من الأزهر في سنة ١٩٤٥. حصل على شهادة الدكتوراه في الأدب والنقد. وله العديد من المؤلفات. توفي سنة ١٩٨٠م. للمزيد من المعلومات حول الشيخ أحمد الشرباصي. راجع: الجندي. أنور مفكرون وأدباء من خلال آثارهم. القاهرة. دار الإرشاد. ١٩٦٧.

٩٢ السلواوي. مصدر سابق. ص ٣٦.

٩٣ المصدر السابق. ص ٣٦.

٩٤ ولد الشيخ علي الغاياتي في دمياط سنة ١٨٨٥. درس في الأزهر الشريف. انتسب إلى الحزب الوطني. عمل في عدة صحف. نشر ديوانه «وطنيتي». هرب إلى جنيف إثر ملاحقة النظام الملكي له. أصبح هناك المحرر العربي لجريدة تريبون دي جنيف. أسس جريدة منبر الشرق. توفي سنة ١٩٥٦. للمزيد من المعلومات حول الغاياتي. راجع: السلواوي. مصدر سابق. ص ٣٦.

٩٥ المصدر السابق. ص ١٢٤.

٩٦ المصدر السابق. ص ٥٧.

٩٧ المصدر سابق. ص ١٢.

٩٨ ولد الشاعر أحمد رامي في القاهرة سنة ١٨٩٢. تخرج من دار المعلمين سنة ١٩١٤. أصدر ديوانه الأول سنة ١٩١٨. حصل على شهادته الجامعية الأولى من جامعة السوربون سنة ١٩٢٤. لقب بشاعر الحب والشباب. توفي سنة ١٩٨٤. للمزيد من المعلومات حول أحمد رامي. راجع: السحار. سعيد جودة. موسوعة أعلام الفكر العربي. القاهرة. مكتبة مصر. ٢٠٠٣. ص ٢٥٥.

٩٩ ولد الشاعر حسن البحيري في حيفا سنة ١٩٢١. أصدر أربعة

طلب منه عرض ديوانه (ابتسام الضحى) على الشاعر أحمد رامى ليضع عليه ملاحظاته قبل الانتهاء من طباعته، وكان أحمد رامى في ذلك الوقت مديراً لدار الكتب المصرية، وبحسب الشيخ فتح الله، فقد كان الشاعر أحمد رامى «نكياً رقيق الإحساس، ولكنه قد يخطئ في العربية، فقد كان يتساءل عند نقاط تساؤلاً ينبئ عن عدم تمكنه من النحو على الأقل وكنت أبين له أسباب ذلك»^{١٠٠}.

وعن العلاقة التي جمعتها بالشاعر أحمد رامى، يقول: «توثقت العلاقة بيني وبينه، وكان يقول لي: أنت في العربية إمام ونحن نتعلم منك، فأشكره وأشعر بشيء من الحرج.. وصار رامى يطلعني على ما ينشئ هو من شعر، وفي الحق كان مطبوعاً أصيلاً يقول السهل الممتنع»^{١٠١}.

النشاط السياسي والنقابي للطلاب الفلسطينيين داخل الأزهر كما عايشه الشيخ فتح الله السلواوي

تظهر بعض الحوادث التي ذكرها الشيخ فتح الله السلواوي في مخطوطته إلى أن الطلاب الفلسطينيين مارسوا نشاطاً طلابياً ذا صبغة نقابية وسياسية، وسأركز على حادثتين أوردتهما المخطوطة، تشيران بوضوح إلى ذلك:

أولاً: إقالة الإمام محمد مصطفى المراغي

أدت إقالة القصر الملكي لشيخ الأزهر الإمام محمد مصطفى المراغي وتعيين الإمام محمد أحمد الظواهري مكانه -وذلك على خلفية نزاع نشب بين الطرفين- إلى تحرك طلاب الأزهر الذين ثاروا وأضربوا وطالبوا بإرجاع الإمام المراغي، وجرت اشتباكات بين الطلاب والشرطة، «وكان للطلاب الشاميين دور كبير في هذه الثورة ولا سيما الفلسطينيين، لقد عمد هؤلاء الطلبة إلى تقليع البلاط عن سطح رواقهم ثم يكسرونه قطع صغيرة، وأخذوا يذفون به رجال الشرطة مما أسفر عن عديد

من الدواوين الشعرية قبل النكبة. وقد ربطته علاقات قوية مع أبناء سلواد من الساكنين في حيفا قبل سنة ١٩٤٨. تعرف عليه الشيخ فتح الله السلواوي في سنة ١٩٤١. عندما زار رواق الشام في الأزهر الشريف. وقامت صداقة بينهما ظلت ما بعد النكبة. وقد زار حسن البحيري سلواد أكثر من مرة بعد النكبة. توفي في سنة ١٩٩٨. للمزيد من المعلومات عن حسن البحيري. راجع: العودات. يعقوب. مصدر سابق. ص ٣٥-٣٦.

١٠٠ السلواوي. مصدر سابق. ص ٤٤.

١٠١ المصدر السابق. ٤٤.

الإصابات، وغضب وزير الداخلية وأصدر الأمر باقتحام الرواق وأصاب الرصاص طالباً فلقى مصرعه وضجت مصر كلها»^{١٠٢}. واعتقل كذلك عدد كبير من الطلبة من بينهم الشيخ الفلسطيني محمد نمر الخطيب.^{١٠٣}

ثانياً: التضامن مع الثورة الفلسطينية الكبرى وثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق

عندما اندلعت الثورة الفلسطينية الكبرى في فلسطين (١٩٣٦-١٩٣٩)، نشط العديد من الطلاب الفلسطينيين والشاميين في العمل لمصلحة القضية الفلسطينية عبر عقد الاجتماعات وإصدار البيانات وجمع التبرعات، كما وقف العديد من الطلبة مع ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق في بداية أربعينيات القرن الماضي، وساندوها عبر نشر الوعي بين المواطنين المصريين بحقيقتها، والدعوة إلى مؤازرتها، وقد تصدى لهذه المهمة عدة طلاب من الأزهر، تزعمهم الشيخ السوري مصطفى السباعي،^{١٠٤} وكان من بينهم الشيخان إبراهيم القطان ومشهور الضامن.^{١٠٥}

أثارت جملة الفعاليات التي قام بها الطلبة تضامناً مع القضية الفلسطينية وثورة رشيد عالي الكيلاني السلطات المصرية، التي بادرت باعتقال ثمانية من الطلاب الشاميين، وعزمت على ترحيلهم. تدخل الشيخ محمد مصطفى المراغي لمصلحة الطلبة، ودعا إلى منحهم الفرصة لإكمال امتحاناتهم وتسليمهم شهادات التخرج، فوافقت السلطات المصرية، وحدث خلاف على مكان عقد الامتحان، هل يكون داخل السجن أم في الأزهر، فتم الاتفاق على نقل الطلبة في سيارات كبيرة مغطاة الظهر والجوانب، تحت حراسة أمنية مشددة،

١٠٢ المصدر السابق. ص ٥٣.

١٠٣ المصدر السابق ص ٥٣.

١٠٤ ولد الشيخ مصطفى السباعي في حمص سنة ١٩١٥. ذهب إلى الأزهر سنة ١٩٣٣. شارك في مقاومة الاحتلال الفرنسي في سورية. وشارك في حرب عام ١٩٤٨ في فلسطين. أسس جماعة الأخوان المسلمين في سورية. عمل في الصحافة. وكان أول عميد لكلية الشريعة في جامعة دمشق. ونائباً في البرلمان السوري. توفي سنة ١٩٦٤. للمزيد من المعلومات حول الشيخ مصطفى السباعي. راجع: رزور. عدنان. مصطفى السباعي الداعية المجدد. دمشق. دار القلم. ٢٠٠٠.

١٠٥ ولد الشيخ مشهور الضامن في نابلس سنة ١٩١٨. التحق بالأزهر الشريف في ثلاثينيات القرن الماضي. نشط في العمل للقضية الفلسطينية وهو في مصر. انضم إلى جماعة الأخوان المسلمين. انتخب في البرلمان الأردني سنة ١٩٦٤. وهو عضو أول مجلس وطني فلسطيني. توفي سنة ١٩٩٨. للمزيد من المعلومات حول الشيخ مشهور الضامن راجع: عبد الهادي. مهدي. فلسطينيون. القدس. الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية. ط ٢٠١٠.

وبحسب رواية الشيخ فتح الله فقد انتهت مدة الامتحانات بنجاحهم، وسافروا أو سُفروا كل إلى بلده.^{١٠٦}

الشيخ فتح الله السلوادي والأحزاب السياسية المصرية

شهدت مصر في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي حراكاً فكرياً وسياسياً نشطاً، وكانت أسئلة النهضة ومتطلبات الاستقلال الوطني مهيمنة على السجال الدائر بين التيارات الفكرية والسياسية على اختلاف مشاربها سواء الليبرالية أو القومية أو الإسلامية وغيرها.

وكانت الجامعات والمعاهد المصرية من أهم ساحات التجاذب السياسي وميادين التغيير، وكان طلابها وقوداً للتحركات السياسية والنشاطات الحزبية، سواءً على صعيد التظاهر السلمي ضد بريطانيا وتوجهات القصر أو المشاركة في المقاومة المسلحة ضد القواعد البريطانية.

وكان الأزهر حاضراً بقوة في الحياة الفكرية والسياسية المصرية، سواءً عبر مواقف علمائه من الأحداث، أو في نشاطات طلابه، ورغم وضع البعض للأزهر في خانة الملك،^{١٠٧} بناءً على مواقف بعض العلماء الأزهريين، فإن الكثير من الشواهد تشير إلى أن الأزهر كان حاضراً للعديد من قادة الفكر والسياسة المتتورين والوطنيين، مثل رفاة طهطاوي ومحمد عبدو ومصطفى المنفلوطي وطه حسين وسعد زغلول وغيرهم.

أمّا فيما يتعلق بما ذكره الشيخ فتح الله السلوادي في مخطوطته حول الأحزاب السياسية المصرية في ذلك الوقت، وتقييمه لها، فقد استكفى بذكر الحزب الوطني وجماعة الإخوان المسلمين. ولعل عزوفه عن الحديث في الشأن السياسي المصري عائد إلى فهمه لطبيعة المهمة التي جاء من أجلها إلى مصر، والتزامه المبكر بالابتعاد عن الانخراط العملي في الشأن السياسي الذي واكبه طوال عمره،^{١٠٨} فالشيخ فتح الله السلوادي عاش حياته في مصر منكباً على طلب العلم، ومهتماً بإنهاء مهمته والعودة في أسرع ما يمكن إلى بلده، حيث والديه.

الحزب الوطني: يتناول الشيخ فتح الله السلوادي

١٠٦ السلوادي، مصدر سابق، ص ٦٣.

١٠٧ البشري، طارق، الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥-١٩٥٣، القاهرة، دار الشروق، ط٢، ٢٠٠٢ م.

١٠٨ يذكر الشيخ فتح الله حادثةً وحيدة شارك فيها في عمل ذي صبغة سياسية، حينما نظم مع بعض زملائه استقبالا للقائد الفلسطيني عبد اللطيف صلاح، الذي كان في زيارة لمصر.

الحزب الوطني^{١٠٩} - بإيجابية واقتضاب- في معرض حديثه عن علاقته بالشيخ علي الغاياتي،^{١١٠} ورغم عدم ذكره لمسيرة الحزب أو أفكاره أو نشاطاته إلا أنه أشاد بمواقفه الوطنية، ومدح قادته، فترحم على مؤسسه مصطفى كامل باشا،^{١١١} ووصف زعيمه محمد فريد^{١١٢} بالمجاهد العامل، وأشار إلى الشيخ الغاياتي بـ «الأديب الشاعر والزعيم الوطني».^{١١٣}

حركة الإخوان المسلمون: أفرد الشيخ فتح الله

السلوادي مساحة كبيرة للحديث عن حركة الإخوان المسلمين،^{١١٤} ولعل ذلك عائد إلى الحضور القوي للحركة في الشارع المصري عموماً، وخطابها الديني الذي يستقطب الكثيرين بسهولة، وخصوصاً طلبة الأزهر، إضافة إلى انتماء عدد كبير من أصدقائه ومعارفه من الطلاب والمدرسين للإخوان فكرياً وتنظيمياً.^{١١٥} ويبدو أن علاقة الشيخ بحركة الإخوان المسلمين اتسمت بالوَدِّ، يظهر ذلك جلياً في ثانيا حديثه عن فكرهم، وعن القيادات الإخوانية التي عاصرها واستمع إليها وخبر أسلوبها وأهدافها،^{١١٦} وقد أشار الشيخ في أكثر من موضع إلى مشاركته في بعض النشاطات الإخوانية الميدانية،^{١١٧} وإلى تردده المستمر على دار الإخوان في الحلمية، لكنه لم يقل إذا ما رافق هذه المشاركة التزام تنظيمي أم لا. كما تناول في حلقة كاملة المرشد العام للإخوان

١٠٩ للمزيد من المعلومات حول الحزب الوطني، راجع: الكيالي، عبد الوهاب وآخرون، الموسوعة السياسية، كفر قرع، دار الهدى للنشر والتوزيع، ج ٢، ص ٥٢٩.

١١٠ كانت رغبة الشيخ فتح الله السلوادي في نشر قصائده هي التي جمعت مع الشيخ علي الغاياتي، ويبدو أنه أعجب بأشعار الغاياتي وأدبه، كما كان يحترمه لوطنيته وأزهريته.

١١١ للمزيد من المعلومات حول مصطفى كامل، راجع: السحار، سعيد جودة، موسوعة أعلام الفكر العربي، القاهرة، مكتبة مصر، ٢٠٠٣، ص ٧٨.

١١٢ المصدر السابق، ص ٦٢.

١١٣ السلوادي، مصدر السابق، ص ١٦.

١١٤ للمزيد من المعلومات حول حركة الإخوان المسلمين، راجع: القرضاوي، يوسف، الإخوان المسلمون ٧٠ عاماً في الدعوة والتربية والجهاد، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٩٩٩.

١١٥ تتناول المخطوطة حياة عشر شخصيات إخوانية. كان لها دور طبيعي في حركة الإخوان المسلمين في مصر والشام في ذلك الوقت، مثل مؤسس الحركة حسن البنا ومحمد الغزالي ومصطفى السباعي وإبراهيم القطان ومشهور الضامن وغيرهم.

١١٦ كان التأثر بالفكر الإخواني هو ما امتاز به خطاب الشيخ فتح الله طوال بعد تخرجه من الأزهر، وظهر ذلك بوضوح في كتاباته وأشعاره وخطبه المنبرية.

١١٧ السلوادي، مصدر السابق، ص ٢٤-٢٦.

المسلمين الإمام حسن البنا،^{١١٨} ويبدو أنه كان معجباً بشخصيته،^{١١٩} إذ بدأها بالثناء عليه، وتعداد مناقبه، ومدح خطابه، ثم شرع بشرح لقائه الأول به، فقال: «وفي أول مرة أذهب بها إلى دار الأخوان في العتبة الخضراء، وكنت مع جماعة من الأخوان الأزهريين في رواق الشام. كان يخطب ويعظ، وقد لمح في الحاضرين وجوهاً جديدة، وفي نهاية درسه تقدمنا نحوه للسلام عليه، كان باشاً مرحباً مسروراً، كان بدأ حديثه أهلاً بالأخ.. ويذكر أجدنا اسمه وبلده ومكان تعلمه في مصر، ويدعو لكل واحد متمنياً التوفيق والنجاح».^{١٢٠}

ولم يكتف الشيخ بما أورده في حلقة من المرشد، فقد تناوله في أكثر من مكان في مخطوطتهمادحا سلوكه ومثنياً على فكره،^{١٢١} كما تحدث بإيجابية واستفاضة عن قيادات أخوانية مصرية، كالشيخ محمد الغزالي؛^{١٢٢} وأخرى أردنية كالشيخ إبراهيم القطان؛ وأخرى فلسطينية كالشيخ محمد نمر الخطيب.

١١٨ ولد حسن البنا سنة ١٩٠٦. ظهرت عليه علامات القيادة منذ صغره. تخرج من دار العلوم سنة ١٩٢٧. وأصبح مدرسا. أسس جماعة الأخوان المسلمين سنة ١٩٢٨. له العديد من المؤلفات. وافتيل سنة ١٩٤٩. للمزيد من المعلومات حول الإمام حسن البنا. راجع كتابه مذكرات الدعوة والداعية. المكتب الإسلامي. بيروت. وكتابه مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا. بيروت. المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر. ١٩٨٦.

١١٩ يعتقد الحاج حماد محمود حامد أنّ الشيخ فتح الله السلوادي كياقي أقرانه من مشايخ الأزهر. قد انضم إلى حركة الأخوان المسلمين. مقابلة مع الحاج حماد محمود حامد. ٢٠١١/٩/٣.

١٢٠ السلوادي. مصدر سابق. ص ٢٤.

١٢١ من الأمثلة على ذلك ذكره للبنا في حلقة من عبد الوهاب عزام في كتابه رجال لقينهم. ص ١.

١٢٢ ولد الشيخ محمد الغزالي في سنة ١٩١٧. درس في الأزهر ونال شهادة العالمية سنة ١٩٤٣. انضم إلى جماعة الأخوان المسلمين في وقت مبكر. عمل في التدريس في الجامعات المصرية والعربية. له العديد من المؤلفات. توفي سنة ١٩٩٦. ودفن في البقيع في السعودية. للمزيد من المعلومات حول الشيخ محمد الغزالي. راجع: القرضاوي. يوسف. الشيخ الغزالي كما عرفته. القاهرة. دار الشروق. ٢٠٠٠.